

## المحاضرة الثانية: نشأة وتطور علم الآثار.

### -هدف المحاضرة:

المحاضرة الثالثة نتطرق فيها إلى نشأة وتطور علم الآثار عبر الحقب التاريخية المختلفة + أما الإشكالية العامة التي تتمحور حولها المحاضرة هي تدور حول ماهي المراحل التي مر بها علم الآثار في نشأته وتطوره إلى أن أصبح علماً قائماً بحد ذاته.

### -المحاضرة:

كان علم الآثار في بداية الأمر عبارة عن وصفاً مجرداً يذكر الماضي وكان الدافع وراءه سير أغوار الماضي ومعرفة الحضارات السابقة فكان يحركه الفضول بلا منهج أو إطار يحكمه كما تركز الاهتمام بأعمال فنية قديمة بمجرد ذكرها ووصفها.

### \*المرحلة الأولى:

يعتبر الشاعر الملحمي اليوناني "هوميروس" هو المؤسس الحقيقي لعلم الآثار، فقد قدم في ملحمتي الإلياذة والأوديسا وصفاً لبعض الأماكن والأحداث التي سبقت عصره، تنقل القارئ أو المستمع إلى خارج الزمن حيث الماضي السحيق بعبقه وشذاه وسحره الذي يأخذ الألباب.

يأتي بعد هوميروس المؤرخ الإغريقي "ثيكوديدس" الذي قدم وصفاً لتاريخ الإغريق منذ البدء في كتابه عن الحروب البلوبونيزية، وفي الفصول الأولى لهذا الكتاب أشار بإيجاز إلى البحرية اليونانية وهندسة البناء وطرز الملابس وأنواعها والأثاث الجنائزي، وفي واقع الأمر هناك بعض الكتابات الكلاسيكية تعتبر مصدراً هاماً في دراسة الآثار، وفي نفس الوقت رغم كونها لا تتحدث عن الحضارة القديمة فقط، إلا أنها تقدم وصفاً دقيقاً ومعاصراً لبعض المدن وبعض الآثار بعينها، مثل ما قدمه بلوتارك الذي كتب العديد من المؤلفات مثل: الحياة المقارنة والأخلاق، وهذا الكتاب متعدد الموضوعات الاجتماعية والطبيعية والفنية والأثرية.

### \*المرحلة الثانية:

تمثلها كتابات **سترابون**، الذي يسبق **بلوتارك** حيث عاش في الفترة من 64 ق.م حتى عام 19م، حيث تعتبر هذه الكتابات أحد الخطوات الهامة لوجود علم الآثار الوصفي إذ قدم في كتابه **الجغرافيا**، الذي يقع في سبعة عشر كتاباً وصفاً كاملاً لتاريخ واقتصاد وجغرافية البلدان التي تقع في نطاق الإمبراطورية الرومانية، معدداً التطور التاريخي والاقتصادي وكل ما هو مميز في عادات الشعوب وتقاليدها وطبيعتها وحيواناتها، وكان كتابه هذا يدرس في مدارس أوروبا في العصور الوسطى، ولا يزال هذا الكتاب يمثل حجر الزاوية للأثريين المحدثين بحيث يقدم لهم دراسة وافية حول آثار بلد بعينها لما به من وصف دقيق.

### \*المرحلة الثالثة:

تأتي كتابات الرحالة الإغريق في المرحلة الثالثة للنشأة الأولى لعلم الآثار، ومن بين هذه الكتابات تأتي كتابات الرحالة "**بوزانياس**"، وهو الذي عاش في القرن الثاني الميلادي حينما اهتم الإغريق بتراثهم باحثين عن إنجازاتهم وإسهاماتهم في الحضارة بعد أن فقدوا مركز الصدارة الذي تبوأته روما، ويعتبر كتاب "**وصف اليونان**" بمثابة دليل للسياح الأجانب الذين يفدون لبلاد اليونان، وقد قدم فيه بوزانياس وصفاً لكثير من بلاد اليونان وحدد فيه الأماكن التي تستحق الزيارة خاصة التماثيل والصور المرسومة والمقابر وأماكن العبادة والأساطير التي حيكت من حولها، كما يذكر أيضاً الأنهار والقرى والطرق بل ويتطرق لوصف المنتجات المحلية دونما التعرض للجوانب الاقتصادية ولعل أهم ما يميز كتابات بوزانياس أنه يصف ما يراه بعينه خلال رحلاته، حيث قدم فيها وصفاً للآثار الباقية من حضارة اليونان وجاء محايداً في وصفه وواقعياً خاصة في وصفه لرسومات الفنان "**بوليجنوتوس**"، وتماثيل مايرون وفيدياس، وإنّ ما ذكره عن الفنان براكتيليس لا يتفق مع ما قدمه ومكانته بين فناني اليونان كما أنه لم يهتم أيضاً بمن جاءوا بعده من الفنانين.

كما قدم وصفاً لمسرح ابيداوروس ومعبد باساي، كما أنه خصص كل كتاب من كتبه العشر لإحدى المدن أو المقاطعات، الكتاب الأول خصصه لإقليم أتিকা، والثاني لميجارا، والثالث لكونث، والرابع لميسينا، والخامس والسادس لأليس، والسابع لآخايا، والثامن لأركاديا، والتاسع لبؤشيا، والعاشر لفوكيس، ومما لا شك فيه أنّ ما كتبت بوزانياس هي بمثابة اللبنة الأولى الحقيقية في صرح علم الآثار، فضلاً عن كونها أحسن ما وصل إلينا من كتابات الأقدمين عن شبه الجزيرة اليونانية.

بنفس المنظور والمنهج الوصفي الذي بدأ به علم الآثار جاءت الكتابات الرومانية الكلاسيكية ويأتي على رأس هذه الكتابات، ما كتبه الكاتب الروماني فيتروفيوس، حيث كتب كتاباً عن العمارة، الذي جاء في عشرة كتب، استعرض فيه تطور هندسة البناء من مواد وطرق بناء وتقنيات، كما تناول أيضاً نظم تغذية وصرف المياه والميكانيكا والساعات المائية والمزاوول، كما تعرض أيضاً للمباني المختلفة وعمارتها مثل المسارح والمنازل والمعابد والمواقع وغيرها من المعلومات التي تتعلق بالبناء والعمارة.

وما قدمه الكاتب الروماني بليبي الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي يأتي في نفس الإطار إذ قدم فيه موضوعات متعددة من بينها الفنانين وأعمالهم الفنية في مجالات النحت والفنون الصغرى والرسم، وقد اعتمد في كتاباته على كتابات سابقة له مثل مؤلفات "فارون"، التي ضاعت ولم يصلنا منها شيء، وإذا كان هوميروس هو أبو علم الآثار، فإنّ الإمبراطور الروماني هادريان هو أول من أسس متحفاً في العالم حيث بنى قصره على الطراز اليوناني، كما قام ببناء مدرسة وأكاديمية ورواقاً لحفظ الرسومات، ومسرحاً إغريقياً، وملعباً محاكياً سائر مظاهر العمارة الإغريقية التي كان شغوفاً بها التي زارها فتعلق بها، كما بنى متحفاً جمع فيه العديد من الأعمال اليونانية الفنية الأصلية، والتي استطاعت البعثات الأثرية في العصور الوسطى العثور عليها عندما اهتم تجار العاديات باقتناء الأعمال الفنية والإتجار فيها لمن يرغب في أرجاء الأرض، فكان أن تفرقت هذه الآثار في متاحف العالم خاصة في أوروبا.

بدأ الاهتمام بعلم الآثار يزداد خلال القرن الرابع عشر، وإن كانت بدايته من أفراد حيث ارتكز الاهتمام بالآثار الكلاسيكية، ويمكننا القول إن هذه الفترة كانت فترة اهتم فيها الأفراد بعلم الآثار دونما منهج علمي ينظم عملهم، أي أنه كان هناك أثريون ولم يكن هناك علم للآثار، وفي مقدمة هؤلاء يأتي الخطيب الإيطالي "كولاديريانزو" (1310-1354م)، الذي كان يريد توحيد إيطاليا اعتماداً على الثقافة اللاتينية القديمة ومخلفات الحضارة القديمة من عمارة وفنون ووثائق.

جاء بعده سيرياك دانكون (1397-1451م)، الذي كان يجوب المراكز الحضارية القديمة في اليونان وإيطاليا، وكان شغوفاً أيضاً بالكتابات والنصوص القديمة وقد سجل ما وجده في ست مجلدات جميع ملاحظاته وترجمة وشرح كل ما رآه لكن وللأسف الشديد احترق مع مكتبته.

بينما في القرن السادس عشر ساد اهتمام في الأوساط الراقية في المجتمع الإيطالي باقتناء مجموعات من العاديات والتحف الفنية، التي صارت فيما بعد نواة للمتاحف المختلفة، كما شهد هذا القرن اهتماماً بالغاً بطبوغرافية روما القديمة.

إنّ الريادة الفعلية في هذا القرن تبقى للعلماء الفرنسيين، حيث كانت أولى الإسهامات الفعلية على يد "نيكولا كلود فابرن يرسيك" (1580 . 1637م)، والذي كان مهتماً بشتى فروع العلم والمعرفة فهو قانوني بارع عضو برلمان يهتم بالعلوم الطبيعية وعلم الآثار، وكان من أرقى أفراد المجتمع الفرنسي.

أنفق الكثير على البعثات العلمية التي سافرت إلى اليونان وقبرص وآسيا الصغرى وإفريقيا خاصة مصر وبلاد الحبشة، تأتي بعد ذلك البعثة الفرنسية التي أرسلها "لويس الثالث عشر" ملك فرنسا إلى بلاد اليونان برئاسة العالم الفرنسي "لويس ديشاي"، والتي ظلت تعمل حتى عصر لويس الرابع عشر، ولعل أبرز الإسهامات الفرنسية في مجال الآثار تلك الرسومات التسجيلية للنحت الجداري على معبد البارثنون، وإن كان لم يبق منها غير بعض المخططات، كما رسمت خرائط تسجيلية لمدينة أثينا.

في القرن السابع عشر برز الفرنسي الشهير "جاك سبون" (1647 . 1658م) الذي كان مولعا باقتناء العاديات والمتاجرة فيها، والذي قام برحلة كبرى إلى الشرق بمرافقة عالم إنجليزي يدعى "ويلر"، سجلا خلالها ما شاهدها وجمعهما في رحلتها إلى الشرق، وكان عنوان كتابه: "رحلة إلى إيطاليا ودماسيا واليونان والشرق"، ويعزي إلى جاك سبون إنه صاحب الاصطلاح **Archaeologie** "أركيولوجي"، في كتابه مزيج من علوم الآثار، والذي اقترح فيه تقسيم الدراسات القديمة إلى ثمانية أنواع وهي تعتبر أول دراسة تصنيفية نوعية معروفة في التاريخ.

وجاء بعده الراهب "مونتوكون" صاحب كتاب: **العصور القديمة**، الذي قدم فيه شرحا وصورا، وهو أول مؤلف يجمع الحضارتين اليونانية والرومانية معاً، ويعتبر اللبنة الأولى في مجال علم الآثار الكلاسيكية.

أما في **العصر الإسلامي** فإن الإهتمام بقي مستمرا سواء عند الكتاب أو الأمراء والسلاطين، فأما الكتاب فإن الكثير منهم –خاصة الرحالة والجغرافيين- من جاءت نصوصه مطعمة بأوصاف لمعالم أثرية وأطلال مدن قديمة وأوصاف دقيقة لمنشآت معمارية، ومن أولئك الكتاب الإدريسي والمقرئزي والمقديسي وابن رسته والبكري، ومن الكتاب من دعى إلى حفظ الآثار وصيانتها والاهتمام بها لأنها تعتبر جزء من تراث الأمة، كابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي.

أما الحكام فقد عمدوا إلى جلب وجمع البقايا الأثرية القديمة وإعادة استعمالها في بناء منشآتهم الجديدة وتزيينها كالأعمدة والتيجان، وأحيانا احتفظوا بعمائر وأعادوا استعمالها دون تهديمها، وأحيانا أخرى لم يتعرضوا لمعالم أثرية لتصل إلينا سالمة من دون أي تخريب.

أما في **العصر الحديث** فلقد تطور الإهتمام بعلم الآثار أكثر فأكثر بل أخذ منحى آخر جديداً خاصة في أوروبا، حيث اهتم الأوروبيون في عصر النهضة بالآثار اليونانية والرومانية التي وجدوها حولهم وتحيط بهم، ثم بعد ذلك بدؤوا يوجهون اهتمامهم بآثار الشعوب والأمم الأخرى مع ظهور الاستعمار، وخاصة في بلاد المشرق على يد الحملات الفرنسية والإنكليزية التي كانت تحمل معها علماء ورجال دين وتجار للكشف عن المخلفات الأثرية

وحملها معهم إلى أوروبا ، ونفس الشيء كذلك للحملات الاستعمارية على بلاد المغرب فقد عملت نفس الشيء  
تقريبا حيث قامت بالتنقيب على الآثار ودراستها ونهبها.